52887 ـ كيف يأخذ المسلم العاصي كتابه يوم القيامة ؟

السؤال

عند تطاير الصحف هل مَنْ سيأخذ الكتاب بيمينه لن يدخل النار مطلقا ؟ والعكس ، وكيف سيأخذ أهل الجنة اللذين سيعذبون في النار أولاً كتابهم ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

دل الكتاب والسنة على أن الناس يأخذون كتبهم التي هي صحائف أعمالهم يوم القيامة ، فآخذ كتابه باليمين ، وآخذ كتابه بالشمال من وراء ظهره .

قال الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ . . . إلى قوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) الحاقة/19- 33 .

وقال تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) الانشقاق/7- 14 .

دلت الآيات على أن المؤمن السعيد يأخذ كتابه بيمينه ، وأن الكافر الشقي يأخذ كتابه بشماله ، من وراء ظهره .

والدليل على أن أهل الشمال هم الكفار قوله تعالى في سياق الآيات : (إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) . وقوله : (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) أي ظن أنه لن يرجع إلى الله . ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) البلد/19 .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (20/65) : (أي يأخذون كتبهم بشمائلهم) انتهى .

وهذا كالصريح في أن الأخذ بالشمال مقصور على الكفار .

ولا شك أن المؤمن المطيع الناجي من العذاب ، يأخذ كتابه بيمينه ، ويدل على ذلك سياق الآيات ، فإن الحساب اليسير هو

مجرد عرض الأعمال ، دون مناقشة فيها ، ومن نوقش الحساب عُذِّب أو هلك ، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري (6172) ومسلم (2876) .

ويدل على ذلك أيضا : ما رواه البخاري (2441) ومسلم (2768) وابن ماجه (183) عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيْ رَبِّ . حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ [زاد ابن ماجه : بِيَمِينِهِ] . وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ .

وأما عصاة الموحدين ، ممن يدخل النار ثم يخرج منها ، فقد اختُلف فيهم : فمن أهل العلم من قال : إنهم يأخذون كتبهم بأيمانهم . ومنهم من قال : يأخذونها بشمائلهم .

قال السفاريني رحمه الله : " يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره ، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه . ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه . وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه ، ثم حكى قولا بالوقوف [أي التوقف في المسألة] قال : ولا قائل بأنه يأخذه بشماله .

وقال يوسف بن عمر من المالكية : اختلف في عصاة الموحدين فقيل : يأخذون كتبهم بأيمانهم ، وقيل : بشمائلهم .

وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل : يأخذونها قبل الدخول في النار ، فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها . وقيل : يأخذونها بعد الخروج منها . والله أعلم " انتهى من لوامع الأنوار البهية 2(/183) .

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : بالنسبة للعاصي المؤمن هل يأخذ كتابه بيمينه أو بالشمال ؟ فأجاب : " يأخذه بيمينه " انتهى من الأسئلة الملحقة بشرح السفارينية (ص 500) .

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنه لا يأخذ كتابه بشماله إلا الكافر ، كما هو ظاهر الآيات المتقدمة .

والذي ينبغي للمسلم أن يجتهد في تحصيل الطاعات ، وفعل الخيرات ، ليكون من أهل اليمين ، جعلنا الله تعالى منهم .

والله أعلم .